المقاصد الشرعية لخلق الحياء

بحث مقدم للمشاركة في ملتقى الحياء

تقديم : أ. د/ حورية تاغلابت كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة

houria.taghelabet@univ-batna.dz

زوليخة معنصري طالبة دكتوراه كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1

dz.mansri@univ-alger

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على من بعثه الله للناس كافة ، يشرع لهم الشرائع ، ويتمم لهم المكارم، صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عن صحابته وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث..

وبعد

الأخلاق هي هيئات يتصف بها الإنسان حسنة كانت أو سيئة ، ويتصف الحسن منها بأنه محمود والسيء منها بأنه مذموم.

وقد دعت شريعتنا إلى الحسن من الأخلاق ، **فقال صلى الله عليه وسلم :{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}، البخاري في ((الأدب المفرد)) (273)** ، وقال تعالى مادحا نبيه **صلى الله عليه وسلم : {وإنك لعلى خلق عظيم }** القلم 4، وقالت عائشة رضي الله عنها : **{كان خلقه القرآن} مسند أحمد (25813) وقال الشاطبي : (الشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق)**

وقال الجويني: **(إن الشريعة مجامعها الحث على مكارم الأخلاق، والنهي عن الفواحش والموبقات)** **الموافقات 77/2، البرهان 2/ 942 . قطب الريسوني : غمرات المقاصد، ص 38- 40**

كل هذه النصوص مجتمعة تظهر مكانة الأخلاق الحميدة في شريعتنا ، كما تظهر أنها مقصودة شرعا، ويظهر كونها مقصودة أنها محكمة ، و ثابتة غير متغيرة.

ومن بين الأخلاق المحمودة خلق الحياء الذي جاءت في حقه نصوص تمدحه وتصفه ، كقوله صلى الله عليه وسلم **: {الحياء لا يأتي إلا بخير}** ، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا : **{إذا لم تستح فاصنع ما شئت}** ، وقصة القعنبي مع هذا الحديث الأخير دليل على بيان أهمية هذا الخلق في كبح تصرفات الإنسان ، وهنا يتبين سبب اختياري لهذا الموضوع وهو بيان قيمة هذا الخلق وأهميته ومقاصده ، و أهدف من خلاله إلى الوقوف على أثر خلق الحياء في المحافظة على مقصدية بعثته صلى الله عليه وسلم لإتمام مكارم الأخلاق وتميز شريعته بهذا الخلق وفق الإشكال التالي: **ما المقاصد الكامنة من التخلق بخلق الحياء ؟ وهل الحياء مقصود لذاته أو لغيره؟**

ويتفرع عن هذا الإشكال التساؤلات التالية : ما المقصود بخلق الحياء ؟ ماهي ثماره وأثاره؟ ما المآلات التي يحققها التخلق وعدم التخلق به؟ وسيتم بحثه بحول الله تعالى وفق المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي ضمن الخطة التالية:

المطلب الأول: معنى الحياء ومكانته في الشريعة .

الفرع الأول : معنى الحياء في اللغة والاصطلاح

الفرع الثاني: مكانته وموقعه في الشريعة

المطلب الثاني : مقاصد الحياء

الفرع الأول : نوعية المقصد المطلوب من الحياء

الفرع الثاني: مقاصد الحياء

الخاتمة والتوصيات

المطلب الأول: معنى الحياء ومكانته في الشريعة

الفرع الأول: مفهوم الحياء في اللغة والاصطلاح

أولا- الحياء لغة:

ذكر ابن منظور الحياء فقال: الحياء التوبة والحشمة، وقد حيي منه حياء واستحيا واستحى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين والأخيرتان تتعديان بحرف وبغير حرف، يقولون: استحيا منك واستحياك ، واستحى منك واستحاك؛ قال ابن بري: شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرتُ قبرك والحبيب يُزار[1].

[1] - ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب، بيروت، (د ط)، 1408هـ-1988م، مادة – حيا-، ص775.

كما أن الحياء مصدر حيي، وهو تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويُذم[1]، وقد أشار ابن فارس أن لمادة (حي) أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر- وهو المراد هنا- الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة.[2]

أما الأصفهاني فقد قال: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك، يقال: حي فهو حي واستحيا فهو مستحي، وقيل: استحى فهو مستح[3].

وقد يدل على الانقباض والانزواء، قال الأخفش: يتعدى بنفسه وبالحرف فيقال: "استحييت منه واستحييته"، وفيه لغتان إحداهما لغة الحجاز وبها جاء القرآن بياءين، والثانية لتميم بياء واحدة[4].

وبالنظر إلى معاني كلمة حيي نجدها تدور حول معنى واحد وهو الاحتشام مع انقباض وانزواء.

ثانيا- الحياء اصطلاحا:

ورد الكثير من التعريفات التي تدور حول معنى الحياء نذكر منها:

ما ذكره الحافظ ابن حجر حين قال: "خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق "[5] .

وعرفه ابن حبان بأنه: "اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال، والحياء حياءان: أحدهما استحياء العبد من الله عز وعلا عند الاهتمام بمباشرة ما خطر عليه ، والثاني استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون"[6].

والحياء عند الجرجاني هو: "انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه، وهو نوعان: نفساني، وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى"[1].

---

[1] - مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ب، د ط، د ت)، ج37، ص 512.

[2] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د ب، د ط) ،1399هـ-1979م،ج2، ص 122.

[3] - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص 270.

[4] -أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ،(دب، د ط، د ت)، مادة حيي، ج1، ص86.

[5] - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1379هـ ، ج1، ص52؛ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، الموسوعة مطابع دار الصفوة، مصر، ط1، 1404هـ، ج18، ص259.

[6] - ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1977م، ج1، ص 57.

الفرع الثاني: مكانته وموقعه في الشريعة

للحياء مكانة عظيمة في الشريعة الاسلامية، فهو من صفات الله تعالى، وهو شعبة من الإيمان، كما أن الحياء شريعة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومكانة الحياء أشار إليها القرآن الكريم، وبيّنها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته.

فعن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردها صفرا خائبتين**"[2].

وعن يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "**إن الله جل ثناؤه حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**"[3].

لذلك اعتبر الحياء من أهم مقومات السلوك الإنساني وبالتالي من أهم مقومات الحياة الحرة الكريمة التي ينشدها بنو الإنسان، إذ يحول دون تفاقم الخلاف ومن ثم العداء بين صاحبه وإخوانه ومواطنيه، ويحول دون التنادي في الشر، وتعميق الفرقة وتأزيم الصلات بين بني الإنسان[4].

يقول ابن القيم: "من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال"[5] .

فالحياء صفة تدفع الانسان إلى فعل المحاسن وتبعده عن القبائح، كما أنها صفة مقرونة بالإيمان، وهي خلق الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم : **إن لكل دين خلقا، وإن خلق الإسلام الحياء**[6].

---

[1] - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص94.

[2] - الترمذي، الجامع الكبير سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ، برقم: 3556، ج5، ص448.

[3] - أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م، كتاب: الحمام، باب النهي عن التعري، برقم: 4012، ج6، ص130.

[4] - أحمد رجب الأسمر، مكارم الأخلاق في الإسلام نظرية وتطبيقا، دار الفرقان، عمان، الأردن، (د ط)، 2008م، ص335.

[5] - ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سألى عن الدواء الشافي(الداء والدواء)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط، د ت)، ص 44.

[6] - ابن ماجه القزويني، سن ابن ماجه، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ- 2009م، كتاب الزهد، باب الحياء، ج5، ص278.

ويكفي الحياء فضلا وشرفا أنه صفة من صفات الله تعالى على الوجه الذي يليق به، وقد ذكر بعض الحكماء فضل الحياء فقال: **"من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه"**، وقال بعض البلغاء: "حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه، وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور، فهو يقدم عل ما يشاء ويأتي ما يهوى[1]، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستح فاصنع ما شئت"**[2].

كما أن الحياء لا يأتي إلا بالخير، بل هو مفتاح كل خير لقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم : **الحياء لا يأتي إلا بخير**[3].

المطلب الثاني: مقاصد الحياء

من المقاصد الأساسية التي عُنيت بها الشريعة الإسلامية؛ الاهتمام بمكارم الأخلاق، التي ما أنزل الله كتاب أو أرسل رسولا إلا وحث عليها، وذلك لفضلها وأثرها في كمال صاحبها، يقول عليه الصلاة والسلام: **"إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق."**

وعلى رأس هذه المكارم خلق الحياء الذي يُعد من صفات الله سبحانه وتعالى،

وقد سبقت الإشارة إلى أن الحياء خلق وسمة مطلوبة وممدوحة ، تسمى واتصف بها رب العالمين ، وهي صفة نبيه الكريم وسائر الأنبياء والصالحين ،و تحلى به صحابته الأفاضل ومن اتبع نهجهم وسبيلهم إلى يوم الدين فهو أكرم لباس يلبسه العبد، وزينة يتحلى بها المؤمن. ، هذه المكانة للحياء وذلك الاتصاف به تظهر مقصديته في شريعتنا ، وكونه من المطلوبات الشرعية ، وقد عقدت هذا المطلب لبيان تلك المقصدية وصورها في الفروع الموالية :

الفرع الأول: نوعية المقصد المطلوب من الحياء

الحياء خلق مقصود لذاته و لغيره ، وبمعنى آخر له مقاصد أصلية وتبعية

---

[1] - عبد الله بن جار الله، الحياء وأثره في حياة المسلم، (د م)، ص4.

[2] - محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم 3484، ج4، ص177.

[3] - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط، د ت)، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم:37، ج1، ص64.

المقاصد الأصلية للحياء ، وهذا يبين أن الحياء مطلوب لذاته ، لأنه صفة اتصف بها رب العالمين ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته رضوان الله عليهم ، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وقد جعله ابن القيم من مدارج السالكين إلى رب العالمين. فيظهر أنه خلق أصلي مقصود لذاته.

المقاصد التبعية للحياء وهي الثمرات التي يحصلها المتصف بهذا الخلق ، فهي تابعة للمقصد الأصلي.

وسوف يتم تفصيل نوعية كل مقصد في الفرع الموالي:

الفرع الثاني: مقاصد الحياء

كلنا يعلم أن لشريعتنا مقاصد تشريعية ظاهرة وجلية في غالب أحكامه، وأخرى خفية صرف العلماء أعمارهم وأوقاتهم وأنظارهم في استنباطها.

ولا يخفى أيضا أن لشريعتنا مقاصد خلقية في تشريعاتها ، كيف لا و الأخلاق أساسية ومهمة في ديننا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**[1] ولما ارتبط هذا البحث بخلق من هذه الأخلاق وهو الحياء خصصت هذا البحث لاستجلاء مقاصده وبيان غاية طلب التخلق به .

وقسمت هذه المقاصد إلى :

أولا مقاصد ايمانية عقدية: العقيدة هي: " عقد المسلم قلبه على الانقياد لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، قلبا وقالبا"[2].

ويظهر المقصد العقدي والإيماني هنا، ، في أن التخلق بخلق الحياء هو من أعظم ثمرات الإيمان بصفات الله - عَزَّ وجَلَّ ؛ لأن الحياء مقرون بالإيمان لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**﴾[3].

---

[1] - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الجامع ، باب حسن الخلق ، برقم 1609 ،2 / 904، وأحمد في مسنده ، مسند المكثرين من الصحابة مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، حديث رقم: 8952 ، والبخاري في التاريخ الكبير ،في ترجمة القعقاع بن حكيم ، برقم 835، 7/ 188، وفي الأدب المفرد، باب حسن الخلق، برقم 273، ص 67.
. و بين الشاطبي معنى تتميمه للأخلاق فقال: وإنما كانت مكارم الأخلاق على ضربين :
ما كان مألوفا وقريبا من المعقول المقبول ، كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لما رسخوا فيه، تمم لهم ما بقي.
وهو الضرب الثاني: وكان منه ما لا يعقل معناه من أول وهلة، فأخّر؛ حتى كان من آخره تحريم الربا، وما أشبه ذلك.
وجميع ذلك راجع إلى مكارم الأخلاق. اهـ. أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات، ت: مشهور بن حين آل سليمان، دار ابن عفان، 2، /124

[2] - قطب مصطفى سانو: **معجم مصطلحات أصول الفقه**، بيروت ، دار الفكر ، ط2006/3، ص287.

[3] - أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، باب إذا زنا العبد خرج منه الإيمان ، برقم 66، 176/1، وهذا حديث صحيح على شرطهما ، فقد احتجا برواته ولم يخرجاه بهذا اللفظ . وابن أبي شيبة، كتاب الإيمان، باب إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، برقم 21، ص 21.

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِرَجُلٍ - وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - فَقَالَ: دَعْهُ. فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[2]

فمن مقتضيات الإيمان بصفات الله تعالى ، الاتصاف بما رغب وأحب أن يتصف بها عباده؛ فالله تعالى له أسماء وصفات تسمى واتصف بها، منها ما يجب الإيمان والتسليم بها وفق ما جاء في كتابه وسنة نبيه، ومنها ما رغبنا في التخلق بها؛ ويحب من عباده أن يتصفوا بمقتضاها، كالعلم والقوة في الحق، والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو وأشباه ذلك، فهو سبحانه عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي، أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء عفو يحب العفو، إلخ[3]،

ف"جاء الحث بالتعبد باسم الله الحيي، فلا يفعل القبيح ، ولا يهتك الستر فيما بينه وبين ربه ، ولا يهتك ستر الناس ، بل يسترهم، كما أن الله يحب الستر من عباده ، والستر عليهم ؛ وهي صفة تزيد للمؤمنين رجاءً وتوسلا به إلى الله جل جلاله فللداعي أن يقدم ذلك بين يدي دعائه ، فيقول : يا حيّي يا ستّير استرني ونحو ذلك ...[4]

فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ إن الله - عز وجل- حليم، حيي ستير يحب الحياء والستر, فإذا اغتسل أحدكم فليستتر﴾ [5]

فالله (حيي يحب العبد الحيي ، وإذا اتصف بذلك، حصل مقاصد هذا الاتصاف بدء بحب الله تعالى له ، لأنه يحب أهل الحياء ، إضافة إلى التسامي والابتعاد عن القبائح ، فلا يهتك ستره بينه وبين ربه بفعل المعاصي القبائح ، وما يقدح في ايمانه ويوجب غضب ربه ، فيحسن مراقبته له، ويسترما بينه وبين إخوانه ، كما يستر ما رأى من عيوبهم وذنوبهم رجاء ورغبة في فضل الله بستره ، فمن منا لا يحتاج أن يستر الله عيوبه ويخفي ذنوبه عن أعين

---

[1] - متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ، برقم 24، 1/ 94 ،و مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم 36 ، 1/ 63.

[2] - متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم 9، 11/1، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم 35 ، 1/ 63.

[3] - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز 133/1، حكم قول: التخلق بأسماء الله وصفاته، رسالة بعثتها إلى أحد السائلين إجابة لما سأل عنه عندما كنت نائبا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام 1386 هـ..

[4] - المرجع السابق

[5] - أحمد في مسنده، كتاب مسند الشاميين، 224/4، و أبوداود في سننه ، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، برقم 4012، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال ، برقم 406، 407، وقال : صحيح.

الخلائق يوم أن تبلى وتكشف السرائر ، قال تعالى: **يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر**﴾ الطارق 9

قال ابن القيم: "... ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيرته محبوبا له، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال"[1] .

وقال أيضا: (ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، أو اتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض الكافر والظالم والجاهل، والقاسي القلب والبخيل والجبان، والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، ستير يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، فهو عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكلما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفته وموجبها، وكلما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها)[2].

غير أن اتصاف المخلوق ببعض صفات الخالق مقيد بعدم التجاوز، فحسب المخلوق أن يكون له نصيب من معاني هذه الصفات، على ما يليق به ويناسبه على الحد الشرعي دون تجاوز، قال الإمام ابن القيم: (وأما حياء الرب - تعالى- من عبده فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكتنفه العقول، فإنه حياء كرم وبرٍّ وجود وجلال، فإنه - تبارك وتعالى- حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا[3]، ويستحي أن يعذّب ذا شيبة شابت في الإسلام﴾[4]. وذلك في معرض شرحه لحديث

كما تظهر آثار الاتصاف والتخلق بهذه الصفة من صفات الله تعالى في المقاصد الموالية.

ثانيا مقاصد تشريعية أخلاقية : بني الإسلام صرح الأخلاق، وجعل الغاية من بعثة رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾[5] ، قال الشاطبي : والشريعة

---

[1] - ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط، د ت)، ص67.

[2] - ابن القيم الجوزية: البيان الوافي في شرح أسماء الله الحسني لعلماء أهل السنة والجماعة، جامع الكتب الإسلامية، 170/1.

[3] - أخرجه أحمد في مسنده، مسند ،و الألباني في صحيح الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، برقم 3556.

[4] - ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، 242/2

[5] - سبق تخريجه

كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾ [1].

فالدين هو الأخلاق ؛ والأخلاق هي الدين، وتكاليف الشرع ليست مجرد طقوس جوفاء إن لم يظهر لهذه التكاليف آثارها وثمارها في أخلاق العبد وسلوكه، ولذلك تعتبر الأخلاق ثمرة الاعتقاد الصحيح والعبادة الصالحة، وإلا كان فساد الخلق دليلا على فساد الإيمان و فساد العقيدة[2]. وهو للأساس العقدي لأنه وربط تكاليفه بفكرة الإلزام والجزاء، ليكون من أقوى دوافع الخير وأقوى بواعث المثل والقيم، يجعله تابعا للأساس العقدي الذي بنيت عليه تكاليف الشريعة ؛ وليس أدل على ذلك من أن المرحلة الأولى من مراحل إرساء هذا الدين بدأت بإصلاح العقيدة وتخليصها من شوائب الوثنية بالتوازي مع تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس وتجريدها من رذائل الصفات، حتى تجتمع القلوب على توحيد الله ، وتسموا النفوس وتترفع عن سفاسف الأمور.

وكان معظم ما نزل من القرآن الكريم في هذه الفترة مخصصا لهذين الأمرين ، لأن العقيدة وتهذيب الأخلاق هي الأساس الأول في بناء الدولة الجديدة ، ومما لا ريب فيه أن علاجه لهذه الحالة كان شافيا ، ومسلكه فيه كان حكيما[3].

فظهر أن حظ الأخلاق منها عظيم ، لأن التنظير الظاهري دون النظر إلى بواطن وحقائق الأمور لن يؤتي ثماره، ، ولذلك سار الفقه الاسلامي مع قانون الأخلاق في طريق واحد لا يفترقان، فتلمس أثر الأخلاق واضحا في كثير من تشريعاته ، فتحريم الربا مثلا يقصد به تطهير النفوس من الأنانية والجشع، ويث روح التعاون بين الناس ، وحماية المجتمع من المشاحنات والمنازعات التي تقوم بسبب تحكم أصحاب الأموال في المحتاجين، ولا يخفى ما في تحريم الميسر والخمر والزنى والقذف من السمو بالنفس عن أخذ مال الغير بغير وجه حق، أو إيذائه في نفسه أو عرضه ، أو تناول ما يضرها[4].

وقال الشاطبي : "وبيان ذلك أن المشروعات المكية وهي الأولية، كانت في غالب الأحوال مطلقة غير مقيدة

وجارية على ما تقتضيه مجاري العادات عند أرباب العقول، وعلى ما تحكمه قضايا مكارم الأخلاق، من التلبس بكل ما هو معروف في محاسن العادات، والتباعد عن كل ما هو منكر في محاسن العادات، فيما سوى ما العقل معزول عن تقريره جملة من حدود الصلوات وما أشبهها، فكان أكثر ذلك موكولاً إلى أنظار المكلفين في تلك العادات، ومصروفًا إلى اجتهادهم

---

[1] - الشاطبي، الموافقات، 124/2

[2]- يوسف القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ،بيروت، مؤسسة الرسالة،ط1/ 2001، ص 27،28.

[3] - م حمد مصطفى شلبي ، المدخل في الفقه الإسلامي، الدار الجامعية ط 1985/10، ص 50 وما بعدها ، 281

[4] - المرجع السابق ص 281، 284

ليأخذ كل بما لاق به وما قدر عليه من تلك المحاسن الكليات، وما استطاع من تلك المكارم في التوجه بها للواحد المعبود، من إقامة الصلوات فرضها ونفلها حسبما بينه الكتاب والسنة، وإنفاق الأموال في إعانة المحتاجين، ومواساة الفقراء والمساكين من غير تقدير مقرر في الشريعة، وصلة الأرحام قربت أو بعدت، على حسب ما تستحسنه العقول السليمة في ذلك الترتيب، ومراعاة حقوق الجوار وحقوق الملة الجامعة بين الأقارب والأجانب، وإصلاح ذات البين بالنسبة إلى جميع الخلق، والدفع بالتي هي أحسن، وما أشبه ذلك من المشروعات المطلقة التي لم ينص على تقييدها بعد "[1].

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم التوبة فالزكاة تشتمل على شيئين: التطهير والتزكية

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون التقوى ومراقبة الله تعالى

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج

فالشريعة تسعى بتكاليفها إلى تربية المكلفين بها ، وتحصل هذه التربية بما يحمله كل تكليف من معان تربوية، فعلى سبيل المثال قوله تعالى :﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت: 45]. نجد أن ترك الفواحش والمنكرات هي ثمرة تربوية يحلها المكلف من إقامته للصلاة المحصلة للشروط الشرعية خشوعا وخضوعا، ويظهر أثر الحياء في الامتثال والمراقبة ، وهو ثمرة قائمة على تمكن الحياء في نفس المكلف المؤمن ، فلا يقارب المنكرات والفواحش ،لأن صلاته تنهاه عن ذلك ، وأثمرت زكاته تطهيرا لنفسه من الشح والبخل، فيؤدي ما افترضه الله عليه فيما استخلفه فيه فزكت نفسه ، وأثمر صيامه الذي لا يطلع عليه غير خالقه تقوى ومخافة من رب العالمين، وكذا سائر التكليفات ، فإحساس العبد بنظر الله تعالى إليه و مراقبة أفعاله تجله يصبر على تحمل مشاقها وأعبائها، وذلك ما يجعلها تؤتي ثمارها وتحقق مقاصدها.

قال ابن القيم : (أن العبد متى علم أن الرب وتعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه . يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة ، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده ، فإنه يكون نشيطا فيه ، محتملا لأعبائه ، ولا سيما مع الإحسان من سيده، ومحبته لسيده، بخلاف ما إذا كان غائبا عن سيده . والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده ، ولكن يغيب نظر القلب والتفاته إلى نظره سبحانه إلى العبيد ، فإن القلب إذا غاب نظره، وقل التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه ، تولد من ذلك قلة الحياء والقحة [2] .

---

[1] ـ الشاطبي، الموافقات، 41/2

[2] ـ ابن القيم ، مدارج السالكين، 52،53/2

ثالثا: **مقاصد تربوية تزكوية :** الحياء هو التربة الخصبة التي يتربى فيها المكلف المسلم ،حيث يبعث فيه الوازع الديني والتربوي القوي، و هو عامل مهم لتزكية النفوس وترقيتها ، وتتجلى المقاصد التربوية المقاصد التزكوية للحياء والله أعلم فيما يلي:

1ـ المحافظة على الفطرة التي فطر عليها الانسان : قال ابن عاشور: (والفطرة أصله اسم هيئة من الفطر وهو الخلق مثل الخلقة كما بينه قوله : ﴿الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾ أي: جبل الناس وخلقهم عليها، أي: متمكنين منها[1].

قال ابن عطية: (والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة (أي الفطرة) أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي معدة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه اه[2]ـ. قال صلى الله عليه وسلم: ﴿**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.** ﴾[3] .

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم : 30

فالفطرة هي الخِلقة والجبلة التي خلق عليها الانسان وتهيأ للعيش بها ؛ والأخلاق منها ما يكون غريزيا، يوهب للمرء ابتداءً، حتى ولو كان كافرًا، **ومنها ما يكتسب،** والحياء خلق من الأخلاق التي فطر الناس عليها[4] ، ويتربى الإنسان على زيادته أو نقصانه، فإذا تخلى عن

---

[1] ـ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، د. ط, د.ت ،89/22

[2] ـ ابن عاشور ، المرجع السابق،89/22، و المقصود بالفطرة في هذا البحث ؛ ابتداء الخلقة ومنه قوله تعالى: ﴿فاطِرِ السَّماواتِ والأرْضِ﴾ أي مبتدئها، وإذ كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليقة، وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتدائهم، لاختلاف العلماء في تفسير معنى الفطرة، من ابتداء الخلقة ، الإسلام ، الإقرار بمعرفة الله تعالى، وقيل الشقاوة والسعادة.. تفسير ابن القيم، وقال ابن عاشور: وإن لم أر من أتقن الإفصاح عن معنى كون الإسلام هو الفطرة فأبينه: بأن الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية وهو المسمى في علم الاستدلال بفساد الوضع، وجزمنا بأن ما نبصره من الأشياء هو حقائق ثابتة في الوجود ونفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السوفسطائية ثبوت المحسوسات في نفس الأمر خلاف الفطرة العقلية.
نبصره من الأشياء هو حقائق ثابتة في الوجود ونفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السوفسطائية ثبوت المحسوسات في نفس الأمر خلاف الفطرة العقلية.

[3] ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، برقم 1358، 94/2، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، برقم 2658، 2047/4.

[4] ـ اختلف العلماء في الحياء هل هو فطري أو مكتسب ، ويرى علماء علم النفس أنَّ أولى أمارات الحياء تبدأ مُبكِّرًا، وتُصبح واضحةً في عُمر سنَة؛ وللوراثة دورٌ في شدة الاستِحياء عند الطفل، والتي تغدو قابلة للتوجيه سلبًا أو إيجابًا بعمر ثلاث سنوات؛ حيث يظهر دور البيئة بوضوح.
قال ابن سيناء: (...وليست الذائعات من جهة ما هي ذائعات مما يقع التصديق بها في الفطرة فما كان من الذائعات ليس بأولي عقلي ولا وهمي فإنها غير فطرية، ولكنها متقررة عند الأنفس لأن العادة مستمرة عليها منذ الصبى وربما دعا إليها محبة

الحياء ، **كان ذلك التخلي انحراف عن الفطرة التي فطرنا عليها، وعندما ننظر إلى أحوال شبابنا اليوم ، والتحول الذي يعيشونه من محاولات التخنث وشيوع الشذوذ في أوساطهم ، وفرض التزاوج غير السليم بين أصناف البشر ، ليدل** دلالة ظاهرة عن هذا الانحراف الخطير عن الفطرة التي فطر الله تعالى عباده عليها ، وقد ثبت في صحيح مسلم[1] عن عياض بن حماد عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ﴿**خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**﴾, **وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك[2].**

2- تزكية النفس: التزكية في اللغة[3] هي الزيادة والتطهير ، وكلا المعنيين مرادان في التعريف الاصطلاحي [4]، فهي هنا إما بمعنى: التطهير المعنوي المراد في قوله تعالى : ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**﴾ الشمس: 7، ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾ الشمس:2 ، وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة، وطهرها من الرذائل والأخلاق الدنيئة، كقوله تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى**﴾ الأعلى : ﴿وقد خاب من دساها﴾ أي دسسها وأخملها ووضع منها بخذلانه إيّاها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه.)[5]

أو هي تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة. فالنفس تحتاج لتزكيتها إلى تغذية دائمة، ومحتاجة إلى رعاية ومتابعة للازدياد من الخير، كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف[6]، حتى تكون جديرة بتكريم الله تعالى لها، وللحياء أثر في هذه التزكية ، فالحياء يربي المرء ويزكيه ، و لأن الحياء نوعان

فهو عامل على (تزكية نفسه وصونها ، وتأهيلها للوصول إلى ربها، فهو يصونها عما يشينها عنده، ويحجبها عنه، . ويصون حسناته عما يسقطها ويضعها، ؛لأنه يسير بها إلى ربه.

التسالم والاصطناع المضطر إليهما الإنسان، أو شيء من الأخلاق الإنسانية مثل الحياء والاستئناس أو الاستقراء الكثير، أو كون القول في نفسه ذا شرط دقيق لأن يكون حقا صرفا فلا يفطن لذلك الشرط ويؤخذ على الإطلاق.) اهـ.
رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/87415/%D8%A7%D9%84%D8%AD

[1] ـ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، برقم 5240

، 97/4.

[2] ـ ابن القيم الجوزية، تفسير القرآن العظيم،

[3] ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة زكا، 14/7/ 358

[4] ـ محمد الحسن الددو الشنقيطي، كتاب دروس محمد الحسن الددو الشنقيطي ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،3/15 http://www.islamweb.net

[5] ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ت: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، تفسير سورة الشمس، 410/8.

[6] ـ الددو ، المرجع السابق

ويطلب بها رضاه. ويصون ايمانه بربه من حبه له، وتوحيده ومعرفته به، ومراقبته إياه عما يطفىء نوره، ويذهب بهجته، ويوهن قوته..)[1] .

وتحصل هذه التزكية للنفس بما يلي:

ا- ضبط النفس: والمقصود بضبط النفس ، التحكم فيها ، ووزنها بميزان الأخلاق العالية، والمعروف أن ضبط النفس يكون عند الغضب، وذلك لأن الغاضب قد يفقد السيطرة على نفسه ، وبقودها إلى فعل وقول ما يستحي منه في أحواله العادية.

وكذا ضبطها أمام الشهوات والملذات والشبهات التي تقدح في عرضه ودينه، ويحضرني في مقام ضبط النفس قصة القعنبي[2] ، وقصته مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: ﴿**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**﴾[3] ، الذي أثر فيه بعدما سمعه أعظم التأثير، وقَلَبَ شخصيته قلباً تاماً، وحوله إلى شخصية أخرى، إذ أصبح من رجال الحديث النبوي، ومن تلاميذ الإمام مالك، الرجلُ الثقة لمعروف والإمام المشهور شيخ البخاري ومسلم . بعد أن كان شابا متهورا لا يضبط تصرفاته ويطلق العنان لشهواته ونزواته والتسلط على عباده.

ب - <u>تجنب القبائح</u>: قال ابن القيم: وتجنب القبائح تصون النفس حيث :(تعمل على حفظها وحمايتها عما يشينها، ويعيبها ويزري بها عند الله عزوجل وملائكته، وعباده المومنين وسائر خلقه. فإن من كرمت عليه نفسه وكبرت عنده صانها وحماها ، وزكاها وعلاها ، ووضعها في أعلى المحال ، وزاحم بها أهل العزائم والكمالات . ومن هانت عليه نفسه وصغرت وعنده ألقاها في الرذائل، وأطلق شناقها ، وحل زمامها وأرخاه. ودساها ولم يصنها عن قبيح. فأقل ما في تجنب القبائح صون النفس[4]. والقبائح تسود القلب ، وتطفىء نوره، والإيمان هو نور القلب، والقبائح تذهب به أو تقلله قطعا، فالحسنات تزيد نور القلب، والسيئات تطفىء نور القلب.

---

[1] -ابن القيم ، مدارج السالكين ،2/ 30

[2] - أن عبد الله بن مسلمة القعنبي ، كان من الشباب اللاهية، وأنه كان يشرب مع رفقة له خمرا ، بلا تورع ولا حياء ، وكان يوماً جالساً امام بيته فرأى الناس يتبعون شيخاً , فسأل عنه فقيل له: هذا شعبة بن الحجاج! قال: وما شعبة؟ قيل له: يحدث بأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم , فذهب إليه القعنبي وقال له حدثني فسكت ثم قال له: ما أنت بأهل لذلك , فقال له: فقال له: لتحدثنني أو لأطعننك بسكيني هذا!! فسكت شعبة ثم قال: حدثنا منصور عن ربعي عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((إن مما أدرك الناس أنه إذا لم تستح فاصنع ما شئت....)) الحديث. وقد أدى ذلك إلى تغيير جذري في حياة القعنبي، الذي صار طالبا للعلم ، وكان من تلاميذ الإمام مالك إلى أن صار من كبار تلاميذه الذين حملوا علمه إلى العراق، ثم أصبح من شيوخ البخاري ومسلم.. وقيل أنه لم يحدث عن شعبة إلا بهذا الحديث . ذكر هذه القصة وفق الدين بن قدامة المقدسي، كتاب التوابين ، ذكر سبب توبة جماعة من الأمة رحمة الله عليهم، توبة القعنبي، دار ابن حزم ، ط!/2003، ص 33. إذ أصبح من رجال الحديث النبوي، ومن تلاميذ الإمام مالك، وهو رجلٌ ثقة معروف وإمام مشهور. وهناك من أنكر هذه القصة من العلماء

[3] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ، برقم 4،177/3483.

[4] - ابن القيم، مدارج السالكين ، 2/ 26

3- <u>الحياء يحي القلب</u>: الحياء من الحياة ومنه الحيا للمطر، لكنه مقصور، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب والروح ، فكلما كان القلب أحي كان الحياء أتم [1].

4- الحياء أصل كل خير: الحياء لا يأتي إلا بخير[2]. فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقارا، وإن من الحياء سكينة. فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحيفتك! الحياء خير كله. قال: أو قال: الحياء كله خير. فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب، أو الحكمة، أن منه سكينة ووقارا لله، ومنه ضعف، قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه، وقال: ألا أرى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعارض فيه، قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير، فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به.

ومكمن الخير فيه في كونه يبعثه على التحلي بمكارم الأخلاق ومعاليها، فيجعل صاحبه ساكنا وقورا، يضع الأشياء في مواقعها ، يحترم ويوقر نفسه وغيره، ويبتعد عن الرذائل والمنهيات لأن مقاربتها لا تليق بذي المروءة، فيحصل حب ربه ، وتقدير عباده.

قال بشير بن كعب - وهو أحد التابعين، وكان يسمع عمران بن حصين رضي الله عنه وهو يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم-: «مكتوب في الحكمة» وهي العلم المتقن الوافي: «إن من الحياء وقارا»، أي: حلما ورزانة، «وإن من الحياء سكينة»، أي: دعة وسكونا، أي: يسكن المتصف به عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التي لا تليق بذي المروءة، وفي تمام رواية أبي داود، قال: «ومنه ضعفا»، فأنكر عليه عمران رضي الله عنه كلامه وتعقيبه عليه، وقال له: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحيفتك! وإنما غضب عمران رضي الله عنه؛ لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن بشيرا قابل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام آخر من أخبار الأولين ومن أخبار بني إسرائيل، أو من الكتب المتقدمة التي تحكي مثل هذه الأمور، وقيل: إنه أنكره من أجل أنه قال: إن فيه ضعفا، وقد قال: (الحياء لا يأتي إلا بخير)، وهذا يدل على أنه لا استثناء فيه، وأنه كله خير، بينما بشير قسمه إلى ما يكون سكينة ووقارا، وما يكون ضعفا، ويمكن أن يكون إنكاره عليه من أجل الاثنين[3].

الخاتمة

---

[1] - ابن القيم، مدارج السالكين ، 2/ 48

[2] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب ، باب الحياء ، 8/ 29، برقم :6117 ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان ، برقم ، 466/1.

[3] - الدرر السنية - الموسوعة الحديثية - شروح الأحاديث،https://dorar.net › hadith › sharh

نصل في ختام البحث إلى أن الحياء خلق فطري ، دعت إليه الشريعة ، كونه من متممات الأخلاق التي جاء صلى الله عليه وسلم لتكميلها وإتمامها ، فهو غاية ومقصد للشريعة كغيرها من الأخلاق، إضافة إلى مقاصده الأخرى العقدية الإيمانية كونه من مستلزمات الإيمان بصفات الله تعالى المطلوب التحلي والتخلق بها ، ومقاصده التربوية التزكوية فهو يمنع المرء من الوقوع في الآثام ويكفه عن ارتكاب القبائح ودنيء الأخلاق، ويضبط نفسه عند مقابلة الشهوات والملذات وعاصم أمام الشبهات ، ويجلب به أخير المزايا والسمات ، فهو خير ويجيء بالخير .